

التخاطب بين الخليل وسيبويه

م/أمجد ستار ساجد علي المكوهر

وزارة التربية – تربية الرصافة ٣/

المقدمة :-

إنَّ التخاطب بين الخليل وسيبويه منَ الموضوعات التي لم يتناولها الباحثون بالدرس والتَّحليل الدقيق على الرغم من أنَّها تُمثل شكلاً من أشكال البَحْث التاريخي التي تكشف عن ماهية وشكل الدرس النحوي أو الحلقة الدراسية العالية عند بداية التأليف ، كما تحلُّ الكثير من الإشكالات التي أُثيرت حول الدرس النحوي العربي بشكلٍ خاصٍ ، والفكر العربي بصورةٍ عامةٍ.

ذلك الدرس الذي يخلو للبعض أن يُسببه لأقوامٍ آخر على الرغم من معرفته بأن المرحلة الأولى من مراحل ولادة النحو العربي المكتوب كانت مرحلة جمع ، وتصنيف وهذه المرحلة - الجمع والتصنيف - لاحتاج إلى منطقي أو فلسفة ، بل تعتمد الملاحظة ، كما أن النحو العربي لم يكن غائباً عن عقل العربي في كلامه وأن ما قام به العلماء الاوائل هو عملية نقل المنطوق ، والمسموع إلى رموز كتابية فالحالة الإعرابية مثلاً كانت من منطوقات العربي الذي اعتادها سليفه وإن الحالة الإعرابية موجودة في كل لفظ عربي خلافاً للعلامة الإعرابية التي تظهر حيناً وتختفي وفقاً لمقصدية المتكلم فقدرها منطقة النحاة لأنهم لم يتصوروا نصاً أو جملة تخلو من اركانها الثلاث (العامل ، والمعمول ، والحركة) فإذا غاب احد هذه الإركان قدره تمييزاً للقواعد التي ارتسموها ، وما كان لأبي الأسود الدؤلي(٦٩هـ) إلا أن حدّد تلك الحالات بعلاماتٍ أو رموزٍ تُسهل على غير العربي تمييزها عند قراءة القرآن الكريم ، أو المدونات العبادية أو التعليمية.

لقد جاء هذا البحث محاولةً لوصف المحاورات التي دارت بين الخليل ، وسيبويه في أول مدونة نحوية وصلتنا - في الكتاب - لتشكيل صورةٍ عن تلك المحاورات والحلقات الدراسية.

فُسِّمَ البحث على ثلاثة مباحث، الأول جاء في عموم الحوار وسَمَّته بالتمهيد ، أما المبحث الثاني عُقدَ لما اتفق فيه سيبويه مع أستاذه وهو أكثر الكتاب ، فيما عُقدَ المبحث الثالث لإعترافات سيبويه على أستاذه وهو القليل الذي كثر في مباحث الصرف والصوت.

وهنا يمكن الإشارة إلى أن مصادر البحث كانت قليلة لأن البحث عُقدَ لقراءة الحوار في الكتاب.

التمهيد : التخاطب بين الخليل وسيبويه :-

إنَّ التخاطب في الكتاب بين سيبويه وبين أستاذه الخليل يُمثل ذلك النوع من أنواع الحجاج^١ الذي جاء لإشباع علة تعليمية تعتمد وصف اللغة على وفق المنهج السوسري - كما يُطلق عليه اليوم- من جهةٍ وعلى وفق الدراسات التداولية الحديثة من جهةٍ أخرى إذ ينطلق مشغل (الكتاب) من اللفظة التي كانت الأساس في تشكيل الجمل العربية ونواة (المسند والمسند إليه) وصولاً إلى مُجمل النص العربي ؛ ورُبَّما لا يَحْتَلِفُ اثنان ممن كان (الكتاب) مشغله أن سيبويه كان ينظر إلى الإستعمال اللغوي العربي انطلاقاً من مُقدمته المقتضبة التي فصل فيها (ما الكلم في العربية) ؛ لا بل يُجمع التداوليون على أن حديث سيبويه في :- ((باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب))^٢ لا يدخل في موضوعات النحو بل هو وصفٌ للإستعمال اللغوي ، وإن شرح الأخفش سعيد بن مسعدة (٢١٥هـ) لقول أستاذه سيبويه للكلام^٣ ما هو إلا دليل على أن النحاة العرب إهتموا بالإستعمال فصار من المسكوت عنه وفق نظرية (الإستلزام الحواري) كما يسميه التداوليون أو التخاطبيون الآن.

أما العلاقة بين الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٥هـ) ، وبين تلميذه سيبويه (١٨٠هـ) كانت علاقةً جسدتها مقولة الخليل :- ((مرحباً بزائرٍ لا يُملُّ))^٤ التي قال النحويون أن الخليل خصَّ بها تلميذه النجيب دون غيره بها :- ((قال أبو عمرو المخزومي -

وكان كثير المجالسة للخليل - ما سمعتُ الخليل يقولها إلا لسيبويه^٥. ومفهومُ الحوار بين الخليل وسيبويه استند إلى الحوار ، ومفهوم ذلك الحوار هو مراجعة الكلام بين شخصين أو أكثر بأسلوب هادئ بعيد عن الخصومة والتعصب ، وهو وسيلة من وسائل الاتصال الموصلة للحقيقة وهو طريق من طرائق البحث التي انتهجها سيبويه في كتابه مع أستاذه الخليل ، ومع غيره من اساتذته للإحالة على المصادر لأن القدامى لم يكن لهم ثبوت للمصادر في بداية تأليفهم فكان سيبويه حريصاً على تلك الإحالات توخياً للأمانة العلمية.

وفي حوار الكتاب وتخطب الخليل وسيبويه تكررًا للمضمون من أجل الوصول إلى الحقيقة المعرفية حيث اتسم الحوار بالحجاج على مستويات عدة منها الموافقة والاستفهام ، ومنها التذليل والشرح وتعريض القواعد بالأمثلة ، ومنها المخالفة المدعومة بالدليل والحجة ((نوه بعضُ المحدثين إلى الخصيصة الحجاجية للكتاب بـ) أن سيبويه في كتابه كان يحتج للأساليب العربية ، وأوجه الخلاف والمشابهة بينهما ، وطرائق إعرابها، ومقتضيات هذه الطرائق ، وتلك الأوجه من المعنى والاستعمال.

وقد قال سيبويه في معرض التذليل على أن العرب يستخفون فيحذفون النون والتنوين، ولا يتغير من المعنى شيء وبعد أن أورد طرفاً من الأمثلة يستشهد بها على ذلك ، قال: «وسترأه مفصلاً أيضاً مفرداً في بابيه مع غير هذا من الحجج». فدل لفظه هذا أنه كان يقصد إلى الاحتجاج قصداً، وهو بعمله هذا قد فتح باب الاحتجاج لمن جاء بعده من النحاة والقراء^٦

ويرى الباحثون أن الكتاب محاضرات الخليل أمليت على سيبويه^٧ ومنهم من يقول إنه نتاج من سبق سيبويه لكن ما لا خلاف فيه أن ((جملة ما روى [سيبويه] عنه [أي عن الخليل] في الكتاب ٥٢٢ مرة وهو قدر لم يرد مثله ولا قريباً منه عن أحد من اساتذته))^٨. يقول الأستاذ صاحب أبو جناح إن الأستاذ المخزومي احصى إحالات سيبويه للخليل صراحة إذ بلغت حوالي ثلاثمئة واثنين وعشرين موضعاً^٩ وقراءتي أن الكتاب نتاج سيبويه الذي أفاد من اساتذته وخصوصاً من الخليل ذلك الثقة الذي يقول عنه سيبويه :- ((وهذا قول جميع من نثق بعلمه وروايته عن العرب . ولا أعلمه إلا الخليل))^{١٠}

ولاشك في أن الكتاب من نتاج سيبويه الفكري فقد احصي في الجزء الرابع حوالي مئة وخمسة عشر باباً من أصل مئة واحد وأربعين باباً لم يجل فيها سيبويه الرأي لأحد مما يعني أنها من عنديته ، وذكر في القليل منها آراء شيوخه كآراء أخرى تختلف عن رأيه ولو كانت محاضرة أمليت عليه لذكر صاحبها للأمانة التي كان سيبويه يمتاز بها.

المبحث الأول : ما وافق فيه سيبويه الخليل :-

كان حوار سيبويه والخليل حواراً علمياً استغرق في الكتاب حوالي اربعمئة وعشرين موضعاً - وفق احصاء الباحث - في أغلبها كان موافقاً لأستاذه ولم يعارضه إلا في مسائل لا تزيد على العشرين إذ أخذ الحوار اشكالات متعددة يبدأ فيها بقول سيبويه:- ((زعم الخليل أنه بمنزلة قولك: شيء أحسن عبد الله ودخله معنى التعجب. وهذا تمثيل ولم يتكلم به)) ١٢ - ولا تعني (زعم) هنا تقليداً أو تكديفاً لقوله تعالى على لسان يوسف النبي عليه السلام :- {قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعِ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} [يوسف: ٧٢] - ، وأخرى يذكر المسألة ثم يقول :- ((وهذا قول الخليل رحمه الله)) ١٣. وثالثة بالمباشرة ((وقال الخليل: هو كائن أخيك على الاستخفاف والمعنى: هو كائن أخاك)) ١٤ ، و ((كان الخليل يراه)) ١٥ ، و((حدثني من لا أتهم عن الخليل أنه سمع أعرابياً يقول: إذا بلغ الرجل الستين فياه وإيا الشواب)) ١٦ ، ولم تكن هذه الألفاظ والمقدمات إلا لبدء الكلام والشروع بشرح المسألة ، وأخرى إحالة تقتضيها الأمانة العلمية التي حرص سيبويه على الالتزام بها ، وهي إحالات متتابعة ١٧ ، وهذه الإحالات شغلت أجزاء الكتاب ، وكانت تبدأ أو تنتهي بحديث الخليل لكن سيبويه كان يدعمها بالأمثلة ، والتفصيل ؛ أو الخلاف في أحيان قليلة ؛ ومن أمثلة ذلك :- ((وقال الخليل: كأنك تحمله على ذلك المعنى كأنك قلت: إنته وادخل فيما هو خير لك فنصبته لأنك قد عرفت أنك إذا قلت له: إنته أنك تحمله على أمر آخر فلذلك انتصب وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه في الكلام ولعلم المخاطب أنه محمول على أمر حين قال له: إنته فصار بدلاً من قوله: انت خيراً " لك " وادخل فيما هو خير لك. ونظير ذلك من الكلام قوله: إنته يا فلان

أمراً قاصداً. فإنما قلت: إنته وائت أمراً قاصداً إلا أن هذا يجوز لك فيه إظهار الفعل فإنما ذكرت لك ذا لأمثل لك الأول به لأنه قد كثر في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل فحذفت كحذفهم: ما أريث كاليوم رجلاً. ومثل ذلك قول القطامي:

فكرت تبتغيه فوافقته على دمه ومصرعه السباعاً

ومثله قوله ، [وهو ابن الرقيات]:

لن تراها ولو تأملت إلا ولها في مفارق الرأس طيبا

وإنما نصب هذا لأنه حين قال وافقتة [و] قال: لن تراها فقد علم أن الطيب والسباع قد دخلا في الرؤية والموافقة وإنهما قد اشتملا على ما بعدهما في المعنى ومثل ذلك قول ابن قميئة:

تذكر أرضاً بها أهلها أحوالها فيها وأعمامها

لأن الأحوال والأعمام قد دخلا في التذكر.))^{١٨} ؛ وفي نموذج آخر يكتفي سيبويه بإجابة شيخه الخليل دون تعقيب أو شرح :- ((وسألته عن قوله جل ذكره: { حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها } الزمر ٧١ أين الجواب ؟ وعن قوله جل وعلا: { ولو يرى الذين ظلموا إذ يروون العذاب البقرة / ١٦٥ ، { ولو ترى إذ وقفوا على النار } الانعام / ٢٧ فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر [الجواب] في كلامهم، ليعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام))^{١٩} .

ومن الواضح أن المحاورات كانت على نوعين:-

نوع اكتفى فيه سيبويه بالسؤال أو مجرد النقل كقوله:- (زعم الخليل) ، و(سمعت الخليل) .

ونوع كان على شكل محاوره وصفية ، وإن كانت قليلة إلا أنها تعطي صورة ، وهياة للحوار مرة مع سيبويه نفسه ، وأخرى ربما تكون مع تلامذته :- ((قال الخليل يوماً وسأل أصحابه: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في (لك) ، و الكاف التي في (مالك)، والباء التي في (اضرب) ؟ فقيل له: نقول (باء) (كاف) . فقال إنما جنتم بالاسم ، ولم تلفظوا بالحرف وقال: أقول (كه و به) . فقلنا: لم ألحقت الهاء ، فقال: رأيتم قالوا (عه) فالحقوا هاء حتى صيروها يُسْتَطَاع الكلام بها ، لأنه لا يُلفظ بحرف. فإن وصلت قلت: (ك) و(ب) فأعلم يا فتى ، كما قالوا (ع يا فتى). فهذه طريقة كل حرف كان متحركاً ، ويجوز أن يكون الألف هنا بمنزلة الهاء ، لأقربها منها وشبهها بها فتقول: (با و كا) كما تقول: أنا

وسمعت من العرب من يقول: (الاتا ، بلى فا " فإنما أودوا ألا تفعل وبلى فافعل ولكنه قطع كما قاطعا بالألف في

أنا))^{٢٠} .

و من هذا الحوار نستنتج:

إن درس الخليل كان من نوع الدرس العالي الذي يختبر فيه الأستاذ طلابه ليُمرّنهم على تدريب العقل فالخليل وكما تذكر اغلب الروايات لم يكن معلماً للصبيان بل كان استاذاً وراوية ومحققاً ومبتدعاً لاغلب علوم العربية وكانت حلقته تتسم بمشاركة كبار الطلاب الذين صاروا فيما بعد اساتذة ، وامتازت دراسة بالتجريب (كيف تقولون إذا اردتم ان تلفظوا بالكاف) ؛ يقول الخليل :- ((إن العرب نطقت على سجيّتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها عللها، وإن لم يُنقل ذلك عنها. واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصببت العلة فهو الذي التمسث، وإن تكُنْ هناك علة له، فمئلي في ذلك مثل رجلٍ حكيم دخل داراً محكمة البناء ، عجيبة النظم والأقسام ، وقد صحت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة ، فكلمها وفت هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا، سنحت له ، وخطرت بياله محتملة لذلك فجانز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ، إلا إن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري . " علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول ، فليات بها))^{٢١} .

المحاورة تعطي مثالاً على ممارسة الاستنباط والقياس:- (فقال: رأيتهُمْ قَالُوا (عَه) فالحقوا هاءً حتى صيروها يُسْتَطَاعُ الكلامُ بِهَا ، لأنه لا يُلفظُ بحرفٍ) و((من الممكن أن يكون الخليل في تخريجه السابق قد لجأ إلى القياس التمثيلي في الدلالة وهو أن يكون لدينا تركيب لغوي جائز من الناحية الدلالية ، وتركيب آخر لا نعرف حكم إجازته. فإذا وجدنا وجه شبه بين التركيبين، تعللنا باستعمال القياس التمثيلي لإجازة التركيب الثاني))^{٢٢}.

التعليل المنطقي المبني على اللغة:- (لأنه لا يُلفظُ بحرفٍ. فإن وصلت قلت: ك و ب فاعلم يا فتى).

كانَ الدرسُ تطبيقياً عملياً :- (كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكافِ التي في (لك) و(الكاف) التي في (مالك) ، و(الباء) التي في (اضرب))

إنَّ قياسَ الخليلِ كانَ مبنياً على السماعِ من كلامِ العربِ :- (وسمعتُ من العربِ من يقولُ : (الا تا ، بلى فا " فانما أرادوا ألا تفعلُ وبلى فافعلُ ولكنه قطع كما قاطعاً بالألف في أنا))^{٢٣} ، وإيرادُ سيبويه للقولِ الذي سمعهُ الخليلُ عن العربِ فيه مؤشراً على أنَّ سيبويه يتوافقُ مع الخليلِ فيما ذهبَ إليه في الفقرةِ السابقة وهذا مما نجدُه يتكررُ في كتابِ سيبويه.

منهجُ التعليلِ الذي انتهجهُ الخليلُ، وسارَ عليه سيبويه كأسلوبٍ من أساليبِ الوصولِ إلى المعنى حتى أنه في بعضِ الأحيان يفترضُ جملاً وينبئه على أنها تمثيلية:- ((وتقولُ : ألا تقعُ الماءَ فتسبحُ ، إذا جعلتَ الآخرَ على الأولِ ، كأنك قلتُ : ألا تسبحُ وإن شئتُ نصبتَه على ما انتصبَ عليه ما قبله ، كأنك قلتُ: ألا يكونُ وقوعُ فأن تسبح . فهذا تمثيلٌ وإن لم يتكلم به))^{٢٤}.

يتضحُ من الحوارِ هدفُ النحاةِ الأوائلِ المتمثلِ في ضبطِ صورةِ الكلامِ العربيِّ وهياتِهِ، فاستنبطوا النظامَ المضمَرُ الذي يحكمُ مختلفَ التراكيبِ العربيةِ ، وهو نظامٌ عربيٌّ خالصٌ:- ((لَمْ يَتَّبِعُوهُ مِنْ أَيِّ شَعْبٍ غَيْرِهِمْ))^{٢٥}.

إنَّ الخطابَ يثبتُ أنَّ الحجاجَ عندَ العربِ كانَ من داخلِ اللغةِ كما يرى (ديغزو، وانسكومبر) وليس كما يرى (بيرلمان ، وتينكا) اللذان يؤكدان على أنَّ الحجاجَ من خارجِ اللغةِ لكنهما يختلفان كما يختلفُ العربُ من أنَّ الحجاجَ :-((حوارٌ من أجلِ حصولِ الوفاقِ بينِ الأطرافِ المتحاورَةِ ، ومن أجلِ حصولِ التسليمِ برأيِ آخرِ بعيداً عن الاعتباطيةِ واللامعقوليةِ))^{٢٦} ؛ لا كما يرى ارسطو أنَّ الحجاجَ هو عمليةٌ جدليةٌ تعتمدُ على مقدماتٍ "حتمية" وإنَّ احتماليةِ العلةِ هو السمةُ البارزةُ للفكرِ النحويِّ العربيِّ في مراحلهِ الأولى على عكسِ المنطقِ الأرسطي.

إنَّ أصالةَ الفكرِ العربيِّ النحويِّ نابعةٌ من احتماليةِ العلةِ لأننا لم نشهدْ في هذا الحوارِ مقدماتُ المنطقِ الارسطيِّ الصوريِّ يقولُ الخليلُ بن أحمدِ الفراهيدي : ((عندما سُئِلَ عن العِلِّ التي يعتلُّ بها في النحو ، فقيلَ له : أعنِ العربِ أخذتْها أم اخترتْها من نفسك ؟ فقال : " إنَّ العربَ نطقَتْ على سجيَّتِها وطباعِها ... واعتلتُ أنا بما عندي أنه علةٌ لما علته منه ، فإن أكنُ أصبتُ العلةَ فهو الذي التمسْتُ ... فإن سنحَ لغيري علةٌ لما علته من النحو أليقُ مما ذكرتهُ بالمعلولِ ، فليأتِ بها))^{٢٧} ، أما العلةُ عندَ ارسطو فهي علةٌ رياضيةٌ تعتمدُ ((المنهجَ الجدليِّ في بناءِ القولِ الخطبيِّ-هو العمدَةُ في هذا المشروعِ ..الجدلُ صناعةٌ ملوكيةٌ ...هو الوسيلةُ التي أرادَ بِهَا أن ينقلَ - في تصورهِ - الحجاجَ عموماً من مجالِ "الظن" و "الاحتمال" إلى مجالِ الحقيقةِ))^{٢٨}.

اخيراً يجدُ الباحثُ في هذا النصِّ كلَّ مقوماتِ الخطابِ العلميِّ الذي يقومُ على جملةِ أمورٍ هي أنَّ هذا :- الخطابُ متتاليةٌ من الجملِ ، منسجمةٌ من حيثِ الملفوظاتِ و فعلٌ حيويٌّ و إنجازيٌّ يتطلبُ مؤثراً و متأثراً و قصداً لأنه دليلٌ لغويٌّ متسقٌ مترابطٌ و وحدةٌ تواصليةٌ تامةٌ هي نتاجُ نشاطٍ لفظيٍّ و ظاهرةٌ اجتماعيةٌ حيةٌ موجهةٌ تستلزمُ مشاركةً مباشرةً^{٢٩} .

وهذا الخطابُ يوافقُ تعريفاتِ الغربيينِ للتداوليةِ :- ((دراسةُ " استعمالِ اللغةِ " التي لا تدرسُ " البنيةَ اللغويةَ " ذاتها ، ولكنْ تدرسُ اللغةَ عندَ استعمالِها في الطبقاتِ المقاميةِ المختلفةِ ، أي باعتبارها " كلاماً محدداً " صادراً من " متكلِّمٍ محددٍ " وموجهاً إلى " مخاطبٍ محددٍ " بـ"لفظٍ محددٍ" في " مقامٍ تواصليةٍ محددٍ " لتحقيقِ " غرضٍ تواصليةٍ محددٍ "))^{٣٠}.

المبحث الثاني : ما خالف فيه سيبويه الخليل :

يُمثل الخلافُ مظهراً مهماً من مظاهر كتاب سيبويه ، لأنه خلافٌ بين علماء المدرسة الواحدة إذ كانت صورة الخلاف عند سيبويه مختلفة تماماً عما هي عند المتأخرين من أمثال أبي البركات الأنباري أو العكبري ؛ ذلك لأن كتاب سيبويه لم يوضع لدراسة الخلاف النحوي خاصة كما وضع كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) أو (التبيين)، وإن مسائل الخلاف عند المتأخرين أخذت تتلون بألوان البيئة التي ينتمي إليها كل عالم ، وبألوان التعصب المذهبي الذي ابتعد في بعض الأحيان عن الحقيقة العلمية المجردة ، إذ كان التعصب سمة ذلك الحوار في أحيان أخرى على حساب الموضوعية، وكانت العلة وتعميم الأحكام على الكليات انطلاقة من الجزئيات هو السمة البارزة:- ((والملاحظ في هذا المجال أن القواعد النحوية وما تنتهي إليه من أحكام ليست شديدة الالتصاق بالظواهر اللغوية ، فهي لا تعكس هذه الظواهر ولا تطرد معها ، وإنما تختلفان معا في كثير من الأحيان. ويعود هذا الاختلاف في جوهره إلى أن الانتقال من الظاهرة إلى القاعدة لم يتم بشكلٍ علميٍّ يُراعي عدم الانتقال بالحكم من الكليات إلى الجزئيات))^{٣١}

أما طبيعة الخلاف في كتاب سيبويه كان غرضها عرض الحقيقة العلمية بموضوعية متناهية تبتعد عن تلفيق الأمثلة ؛ يقول الدكتور علي مزهر الياصري:- ((إن العلة النحوية في ذلك الطور [طور سيبويه] من ابتكار النحاة وحدهم ولا تجري على سياق العلة المنطقية))^{٣٢}.

إن ما خالف فيه سيبويه استأذنه كما قلنا سابقاً كان في مسائل عدة منها مخالفته شيخه في الاسم المجرور على الجوار إذ اشترط الخليل لتحقق الجر على الجوار أن يتفق الاسم المتجاوران في العدد والنوع ؛ تذكرنا وتأيينا، فإن لم يكن، فإن الاسم يجري على أصله، وأجاز سيبويه الجر على الجوار وإن لم يتفق الاسم فيما تقدم ؛ هذا جرح ضيق خرب

وفي ((النسب إلى "ظبية ونحوها"؛ وفي النسب إلى "راية وأمثالها" وفي باب الهمز خالف سيبويه الخليل في تخفيف إحدى الهمزتين اجتمعت في كلمتين، و - أيضاً - خالفه في أن الهمز والنبر شيء واحد ولا فرق بينهما.

وفي باب القلب المكاني ذهب سيبويه إلى أنه لا قلب في الجمع الأقصى نحو "خطايا"؛ ولا قلب في اسم الفاعل من الأجوف الثلاثي المهموز اللام، نحو "جاء"؛ وكذلك: لا قلب في جمعه ، نحو "جاء" ، أما الخليل فيرى القلب فيها))^{٣٣}. واختلف الخليل وسيبويه في جمع اسم الفاعل نحو (سائبة وجائبة) على صيغة منتهى الجموع (فواعل) نحو (جواء وسواء) فذهب الخليل إلى أن أصل (جواء): (جوايي) ثم قُدمت اللام إلى موضع العين فراراً من اجتماع همزتين فصارَ (جوايي) على وزن (فوالج) فالهمزة التي تلي الألف إنما هي لام الجمع، قُدمت على العين التي كانت تهمز إذا كانت إلى جانب الألف ثم أُعلت الكلمة إعلال (قاضي) فصار اللفظ (جواء) على (وزن فوالج).

وذهب سيبويه إلى أن أصل (جواء) ونحوها (جوايي) فأبدلت الياء التي هي عين الجمع همزة لوقوعها بعد ألف فصارت (جوايي)، فاجتمعت همزتان فأبدلت همزة الثانية ياء، لانكسار ما قبلها فصارَ (جوايي) على وزن فواعل ثم أُعلت الكلمة إعلال (قاضي) فصار (جواء) على وزن (فواع) ولا قلب فيه لأن سيبويه لا يرى القلب في هذه الكلمة وأشباهاها ؛ وإن أدى ذلك إلى اجتماع همزتين وهو ما احترز منه الخليل ، والواضح أن العلة عند سيبويه علة (الثقل والخفة) ، ((لأنهم إذا فعلوا ذلك صاروا إلى ما يستنتفون ، وإلى الالتباس وإجحاف))^{٣٤}.

وفي ((اللغات أثبت الخليل التداخل ، وخالفه سيبويه ، وفي باب الوقف اختلفا في حقيقة ألف المقصور المنون الموقوف عليه ، وكذلك اختلفا في الوقف على المنادى المنقوص غير المنون. وفي باب الزوائد ذهب الخليل إلى أن الزائد هو الأول في كل مضاعف، وخالفه سيبويه فذهب إلى أنه الثاني، ثم قال سيبويه: وكلا القولين صواب ومذهب.

أما باب مخارج الحروف فقد خالف شيخه في عدد مخارج الحروف؛ وفي ترتيب المخارج؛ وفي ترتيب حروف بعض المخارج))^{٣٥} ، فالحروف عند الخليل كما أوردها في "العين" تسعة وعشرون حرفاً، رتبها كالتالي: (ع ، ح ، هـ ، خ ، غ ، ق ، ك

ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، همزة) وهذا الترتيب معجمي بنى عليه تسلسل محتوى كتاب العين إذ قسم الخليل هذه الحروف الى أحياز (أي مخارج) كالتالي:

١. ع، ح، ه، خ، غ

٢. ق، ك

٣. ج، ش، ض

٤. ص، س، ز

٥. ط، د، ت

٦. ظ، ث، ذ

٧. ر، ل، ن

٨. ف، ب، م

٩. و، ا، ي، همزة.

أما سيبويه فقد خالف استاذة إذ في ترتيبها ومخارجها :- ((هذا بابُ عددِ الحروفِ العربيةِ ، ومخارجها ، ومهموسها ومجهورها ، وأحوالُ مجهورها ومهموسها ، واختلافها ، فأصلُ حروفِ العربيةِ تسعةٌ وعشرون حرفاً: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين الخاء، والكاف والقاف، والضاد، والجيم والشين والياء، واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي، والسين، والطاء والذال والتاء، والفاء والباء والميم، والواو.

وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التقخيم، يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصلاة^{٣٦}، والزكاة^{٣٧}، والحياة^{٣٨}، وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والشين التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء، والطاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء، وهذه الحروف التي تمتها اثنين وأربعين، جيدها وديتها، أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة))^{٣٩}

نلاحظ من خلال هذا النص أن سيبويه يتحدث عن الأصوات المنطوقة والمسموعة، لا عن أصوات مكتوبة، فنرى كيف تزيد -الأصوات- حتى تصبح اثنين وأربعين صوتاً، في حين أن حروف الهجاء المكتوبة تسعة وعشرون رسماً لتسعة وعشرين صوتاً أصلياً ، وعلى الرغم من ان سيبويه يتحدث عن الاصوات المنطوقة الا انه لم يقم دراسته في الكتاب على اساس صوتي بل على اساس أنه مقدمة لموضوع كانت له الريادة فيه وهو الادغام كما يؤكد ارتور شادة في بحثه القيم الموسوم بـ(علم الاصوات عند سيبويه وعندنا).

كما نلاحظ في النص اعلاه تقديمه (الهمزة ، والألف ، والهاء) على ترتيب سيبويه "العيبي" كما ان سيبويه قسم الحلق على ثلاثة اقسام على عكس الخليل الذي جعل الحلق مدرجا واحدا لمجموعة من الاصوات هي (ع، ح، ه، خ ، غ) ، وهنا يكتفي الباحث بهذه الاشارات لان علماء الاصوات المستشرقين والعرب قد افاضوا الحديث في ذكر الخلاف في ترتيب ومخارج الاصوات .

وساقوم بنقل مثالين عن هذا الخلاف النحوي ومثال عن الخلاف الصوتي

- المثال الأول عن الخلاف النحوي : يقول سيبويه :- ((ولو كانت على ما يقول الخليل لما قلت : أما زيذا فلن اضرب لان

هذا اسمٌ والفعل صلة فكأنه قال أما زيذا فلا الضرب له))^{٤٠} .

- المثال الثاني عن الخلاف النحوي : وقال :- ((وزعم الخليل أن أيهم إنما وقع في اضرب أيهم أفضل على أنه حكاية كأنه قال : اضرب الذي له أيهم أفضل ، وشده بقول الأخطل :

ولقد أبيت من الفتاة بمنزلٍ فأبيت لا حرج ولا محروم

وأما يونس فيزعم أنه بمنزلة قولك : أشهد أنك لرسول الله ...وتفسير الخليل رحمه الله ذلك الأول بعيد ، وإنما يجوز في شعرٍ أو في اضطرار ولو ساع هذا في الأسماء لجاز أن نقول : اضرب الفاسق الخبيث))^{٤١}.

- المثال الثالث عن الخلاف الصوتي ؛ لكن قبل ذلك يمكن الإشارة الى اتفاق اغلب الباحثين على أن نظرة سيبويه الصوتية تختلف عن نظرة الخليل ذلك لأن الخليل كان مهتما بصناعة المعجم^{٤٢} وفق دراسة "صوتية" أو "صرفية" على اختلاف الباحثين في توصيف ذلك فقد رأى الدكتور علي زوين أن ((كتاب العين هو معجم ينسب اليه قد أقيم على اساس صوتي هو اعتبار مخارج الحروف في ترتيب الابواب مبتدئا بحروف الحلق ومنتها إلى الحروف الشفوية))^{٤٣}، فيما يرى الدكتور كمال محمد بشر أن ترتيب الخليل كان صرفيا:- ((لقد وضع الخليل هذه الحروف الاربعة في نهاية اجديته الصوتية في مجموعة واحدة بعد تلك الحروف التي سماها هو "الحروف الصاح" وفي رأينا ان هذا الترتيب لهذه الاصوات الأربعة ليس ترتيبا مخرجيا ن وإنما هو ترتيب لها من حيث مخالفتها للحروف الأخرى من الناحية الصرفية ، اي من حيث ما يطرا عليها من تغيير أو اعتلال في الكلمة))^{٤٤}

أما سيبويه فكان مهتما بدراسة الإدغام^{٤٥} فجاءت دراسته للاصوات وفق هذا المشغل :- ((وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه ، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه ، وما تبدله استتقلا كما تدغم ، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك))^{٤٦} يقول سيبويه في هذا باب ما الهمزة فيه في موضع اللام من بنات الياء والواو: ((وأما الخليل فكان يزعم أن قولك: جاءٍ وشاءٍ ونحوهما، اللام فيهن مقلوبة، وقال: ألزموا ذلك هذا واطرد فيه، إذ كانوا يقلبون كراهية الهمزة الواحدة وذلك نحو قولهم للعجاج: ((*لاث بها الاشياء و العبرئ*))^{٤٧}.

وقبل ذلك بين سيبويه مذهبه، فقال: ((فهذه الحروف تجري مجرى: قال يقول، وباع يبيع، وخاف يخاف، وهاب يهاب، إلا أنك تحول اللام ياء إذا همزت العين، وذلك قولك: جاءٍ، كما ترى همزت العين التي همزت في باع واللام مهموزه، فالتقت همزتان، ولم تكن لتجعل اللام بين بين من قبل أنهما في كلمة واحدة، وأنهما لا يفترقان، فصار بمنزلة ما يلزمه الإدغام؛ لأنه في كلمة واحدة، وأن التضخيم لا يفارقه))^{٤٨}.

ومن هذه النصوص يستنتج الباحث ان الحوار كان حوارا إقناعيا يقوم على البحث و التساؤل عن مقدمات قضايا معرفتنا بها صحيحة وثابتة ، كما أنها متحققة و موثوق منها معرفيا و تستخدم الإقناع تبعا لأدوار البحث والاستعلام^{٤٩} .

الهوامش

^١ - يقصد الباحث بالحجاج معناه الاصطلاحي عند التداوليين

^٢ - الكتاب : ٢٥/١

^٣ - التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الافعال الكلامية" في التراث اللساني العربي: ٥٢

^٤ - طبقات النحويين واللغويين : ٦٧ وينظر سيبويه امام النحاة : ٩١

^٥ - طبقات النحويين واللغويين : ٦٧

^٦ - ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة - النص الحجاجي العربي د. محمد العبد: ٤٠/١

^٧ - الحجاج بمفهوم المنزلة عند سيبويه مقارنة في أصول التفكير النحوي: أ.م.د. رجاء عجيل الحساوي جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية: ١

^٨ - ينظر اخبار النحويين البصريين : ٣٠

^٩ - سيبويه امام النحاة : ٩٣

^{١٠} - من اعلام البصرة سيبويه هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه : ٨٠

- ١١ - الكتاب : ٣٠٣/٣
- ١٢ - الكتاب : ٧٢/١ .
- ١٣ - المصدر نفسه : ٩٢/١
- ١٤ - المصدر نفسه : ١٦٦ /١
- ١٥ - المصدر نفسه : ١٩٣/١
- ١٦ - المصدر نفسه : ٢٧٩/١
- ١٧ - ينظر معنى المعنى : دراسة لإثر اللغة في الفكر والعلم والرمزية : ٣٨
- ١٨ - الكتاب : ٢٨٣/١-٢٨٤-٢٨٥
- ١٩ - الكتاب : ١٠١/٣
- ٢٠ - المصدر نفسه: ٣٢٠-٣٢١
- ٢١ - الايضاح في علل النحو : مقدمة المحقق شوقي ضيف
- ٢٢ - التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته عند البصريين دراسة ايستومولوجية: ٢٠١
- ٢٣ - الكتاب : ٣٢١-٣٢٠/٣
- ٢٤ - المصدر نفسه : ٣٤/٣
- ٢٥- علم الاصوات عند سيبويه وعندنا : ارتور شادة : ترجمة صبيح حمود التميمي : مجلة اداب الرافدين – العدد ٥٨ لسنة ٢٠١٠ : ١٦
- ٢٦ - أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : عبد الله صولة- مجموعة بحوث : ٢٩٨
- ٢٧ - الايضاح في علل النحو : للزجاجي ، تح : مازن مبارك : ٦٥-٦٦
- ٢٧- الحجاج عند ارسطو : هشام الريفي مجموعة بحوث - ٨١
- ٢٩ - خصائص الخطاب العلمي في حوار البيروني و ابن سينا : ١٧ رسالة ماجستير مقدمة من قبل صباح بو غازي لقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية في الجزائر
- ٣٠ - النداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي: ٢٦
- ٣١ - تقويم الفكر النحوي : ابو المكارم : ٢١٤
- ٣٢ - الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه : ٢٦٠
- ٣٣ - الخلاف بين سيبويه والخليل في الصَّوْتِ والْبَيْئَةِ: ٣٤
- ٣٤ - الكتاب : ٣٧٦/٤
- ٣٥ - الخلاف بين سيبويه والخليل في الصَّوْتِ والْبَيْئَةِ: ٣٤
- ٣٦ - ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة:٣]
- ٣٧ - ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴾ [البقرة:٤٣]
- ٣٨ - ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:٨٦]
- ٣٩ - الكتاب: ٤٣٢/٤
- ٤٠ - الكتاب: ٥/٣
- ٤١ - المصدر نفسه: ٤٠١/٢
- ٤٢ - ينظر : علم الاصوات عند سيبويه وعندنا: ارتور شادة : ترجمة صبيح حمود التميمي : مجلة اداب الرافدين – العدد/٥٨ لسنة ٢٠١٠م ص ٧
- ٤٣ -منهج البحث اللغوي لبين التراث وعلم اللغة الحديث : ٦٢
- ٤٤ - دراسات في علم اللغة : ٦٦-٦٧/١
- ٤٥ - ينظر : علم الاصوات عند سيبويه وعندنا: ٦
- ٤٦ - الكتاب : ٤٣٦/٤
- ٤٧ - الكتاب : ٣٧٧ /٤
- ٤٨ - المصدر نفسه: ٣٧٦/٤
- ٤٩ - ينظر : خصائص الخطاب العلمي في حوار البيروني و ابن سينا : ٢١

ثبت المصادر:-

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- المصادر والمراجع:-
- اخبار النحويين البصريين : القاضي ابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي تحقيق طه محمد الزيني ، محمد عبد المنعم خفاجة مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر .
- اصول التفكير النحوي : علي ابو المكارم : دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة / ٢٠٠٦م.
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم : اعداد فريق من الباحثين باشراف حمودي صمود جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية / تونس – المطبعة الرسمية التونسية / دت.
- الإيضاح في علل النحو، المقدمة بقلم د. شوقي ضيف لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق د.مازن المبارك، الناشر مكتبة دار العروبة، مصر، ١٣٧٨ هـ- ١٩٥٩ م.
- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الافعال الكلامية" في التراث اللساني العربي : مسعود صحراوي – دار الطليعة – بيروت – ط١- ٢٠٠٥م.
- التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين دراسة ابستمولوجية، د. جلال شمس الدين، توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤ م.
- تقويم الفكر النحوي : علي ابو المكارم – دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة / ٢٠٠٥م.
- الحجاج بمفهوم المنزلة عند سيبويه مقارنة في أصول التفكير النحوي: أ.د. رجاء عجيل الحسنوي جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية.
- الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة : مجموعة من الباحثين باشراف حافظ اسماعيل علوي : – النص الحجاجي العربي د. محمد العبد : عالم الكتب – اربد – الاردن / ٢٠١٠م.
- خصائص الخطاب العلمي في حوار البيروني و ابن سينا : رسالة ماجستير مقدمة من قبل صباح بو غازي لقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية في الجزائر.
- الخلاف بين سيبويه والخليل في الصّوت والبنية: د. أحمد بن محمد بن أحمد القرشي - مجلة جامعة أم القرى.
- الخليل بن احمد الفراهيدي اعماله ومنهجه : مهدي المخزومي- دار الرائد العربي- بيروت- لبنان.
- دراسات في علم اللغة (القسم الاول): د. كمال محمد بشر ، دار المعارف بمصر / ١٩٦٩م.
- سيبويه امام النحاة – علي النجدي ناصف – مكتبة نهضة – مصر / ١٩٥٣م.
- علم الاصوات عند سيبويه وعندنا : ارتور شادة : ترجمة صبيح حمود التميمي : مجلة آداب الرافدين : العدد ٥٨ لسنة ٢٠١٠م.
- الفكر النحوي عند العرب اصوله ومناهجه : علي مزهر الياسري : الدار العربية للموسوعات- لبنان- بيروت ط١ / ٢٠٠٣م.
- طبقات النحويين واللغويين لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة نهضة مصر/ ١٩٥٣ .
- الكتاب : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : تحقيق محمد عبد السلام هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة- ط٣ / ١٩٨٨م.
- مدخل إلى اللسانيات : محمد محمد يونس علي- دار الكتاب الجديد المتحدة ،لبنان – ط١ / ٢٠٠٤ م .
- مراتب النحويين : عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : مكتبة نهضة مصر ومطبتها ١٩٥٥م.
- معنى المعنى: دراسة لإثر اللغة في الفكر والعلم والرمزية : أوغدن ورتشاردز ترجمة د.كيان احمد حازم يحيى الفكر الجديد.
- من اعلام البصرة سيبويه هوامش وملاحظات حول سيرته وحياته د. صاحب أبو جناح من الأبحاث المقدمة لمهرجان المرشد ١٩٧٤م.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : د علي زوين ، وزارة الثقافة والاعلام العراقية - مطبعة دار الشؤون الثقافية ، بغداد- ط١/ ١٩٨٠م.

Copyright of Larq Journal for Philosophy, Linguistics & Social Sciences is the property of Republic of Iraq Ministry of Higher Education & Scientific Research (MOHESR) and its content may not be copied or emailed to multiple sites or posted to a listserv without the copyright holder's express written permission. However, users may print, download, or email articles for individual use.